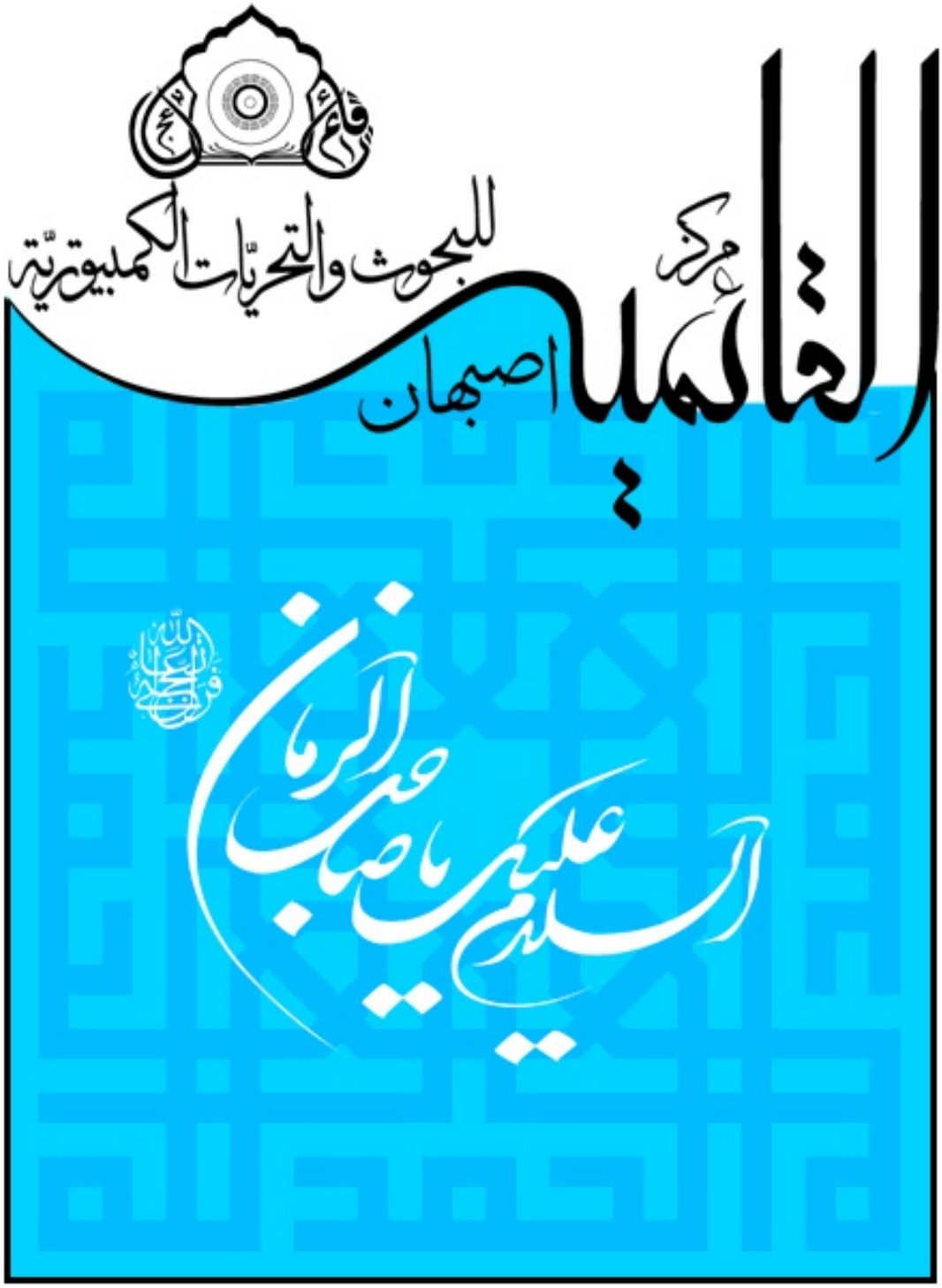

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الامام الباقر عليه السلام
قدوة و اسوة
محمد تقی المدرسی

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام الباقر عليه‌السلام قدوة و أسوة

كاتب:

محمد تقى المدرسى

نشرت فى الطباعة:

محبان الحسين عليه السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام الباقر علیه‌السلام، قدوه و اسوه ----- ۶
اشارة ----- ۶
تمهید ----- ۶
المیلاد المیمون ----- ۷
اشاره ----- ۷
النشأة الطیبة ----- ۷
الإمامة وعلم الأنبیاء ----- ۷
علم الإلهام ----- ۱۰
خصال الإمام ----- ۱۴
الامام وعصره ----- ۱۶
وفاته ----- ۲۱
پاورقی ----- ۲۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۴

الامام الباقر عليه‌السلام، قدوه و اسوه

اشارة

سرشناسه : مدرسی، محمد تقی، ۱۹۴۵- م.

Mudarrisi, Muhammad Taqi

عنوان و نام پدیدآور : الامام‌الباقر علیه‌السلام قدوه واسوه/ محمدتقی المدرسی.

مشخصات نشر : تهران:محبان الحسین علیه السلام،۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری : ۷۲ ص.؛۱۱×۱۷ س‌م.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۴۲۷-۰۹۱-۸

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ قبلی : مکتب العلامه المدرسی، ۱۴۱۰ق. = ۱۳۶۹.

موضوع : محمدبن علی (ع)، امام پنجم، ۵۷ - ۱۱۴ق.

رده بندی کنگره : BP۴۴/م۴الف۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۵۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۹۱۲۲۱

تمهید

الحمد لله رب العالمین - وصلی الله علی سیدنا محمد وآله الطاهرین -. فی فاتحة الحدیث عن الإمام الباقر (ع) ینبغی أن نشیر إلی نهجین متنافرین فی تقییم حیاة الأئمة والنهج القدیم بینهما. فهناک فریق یقیّمون حیاة المعصومین علیهم السلام بمقیاس السیاسة. ومدی دورهم فیها. ویکاد تفسیرهم لعبادات الأئمة، وعلومهم، وأخلاقهم یکون أیضاً بمنظار سیاسی. بینما تجد أغلب المؤرخین لحیاتهم علیهم السلام یختصرون حیاتهم فی حدود فردیة ضیقة، حتی یفصلونها من السیاق الزمنی لها. وبین المنهجین حالة وسطی تجعل حیاتهم ذات إشعاع فردی یتجاوز حدود الزمان والمکان.. وذات أفق سیاسی یتفاعل مع الظرف التاریخی الخاص به.. بلی. الأئمة هم قدوات البشر، ونسبة رجال السیاسة إلی سائر الناس نسبة ضئیلة، فلم یکن من المناسب أن یکون کل قدوات البشر فی قمة السلطة حتی یکون سلوکهم مناراً لأمثالهم من أصحاب السلطة فقط، بل کان من المعقول أن یکونوا فی مختلف المستویات الإجتماعیة حتی تتم حجة الله علی خلقه بأنفذ ما یکون بلاغاً وقوةً! ولو کانوا کلهم فی قمة السلطة لقال الناس أن مسیرتهم تخص أولی السلطة فحسب فما لنا للدخول فی شأن السلاطین. علی أن بعضهم لایزال یحاول التنصل من اتباع الأنبیاء والأوصیاء والصالحین، بزعم أنهم لیسوا ببشر.. وبالتالی فهو لایمکنه أن یتبع هداهم، أو یقدر أحدنا أن یتمثل شخصیَّة الملائکة.. إلّا أن ما نزل بأنبیاء الله وأوصیاءهم من الضنک والأذی. وما تعرضوا له من السجن والتعذیب والتهجیر والخوف وحتی القتل والأسر والتشهیر.. کل ذلک دلیل کونهم بشراً أمثالنا میّزوا بالوحی والعزم والإعتصام بحبل الله، وقال ربنا سبحانه: «قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُکُمْ یُوحَی إِلَیَّ أَنَّمَآ إِلَهُکُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» (الکهف/۱۱۰) وقال: «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُکُمْ وَلَکِنَّ اللَّهَ یَمُنُّ عَلَی مَن یَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا کَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِیَکُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَی اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (ابراهیم/۱۱) ولعل هذه الحکمة کانت أیضاً وراء إذن الله سبحانه بتعرض أولیائه لبعض الأذی، لکی لا یرفعهم الناس إلی مستوی الألوهیة فیهلکوا، ولکی یرفع الله به درجاتهم عنده. ولکی لایترک الدینَ البسطاءُ من

الناس فراراً من الأذى. ونحن إذ نشرع فى الاستضاءة بسيرة الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام، والعلم السابع من قدوات الأئمة المعصومين عليهم السلام بجوار مقام السيدة زينب فى الشام. نسأل الله أن يتم نورنا به ويجعلنا من أشد تابعيه تمسّكاً وأحسنهم عاقبة.. إنه ولى التوفيق..

الميلاد الميمون

اشاره

ولد الإمام الباقر (ع) من والدين علويين هما الإمام السجاد (ع)، وأم عبد الله بنت الإمام الحسن المجتبى (ع)، وكانت ولادته قبل أربع سنوات من واقعة الطف الرهيبة. أى فى عام ۵۷ من الهجرة. وكان ذلك الثالث من صفر أو العاشر فى رجب، (فى ذلك اختلاف بين الرواة). ولم يكن أكبر أبناء أبيه سنّاً، إلّا أنه كان أولاهم بالإمامة فنصبّه والده لها اتباعا لأمر رسول الله (ص). وقد سأل الزهرى والده الإمام السجاد عن ذلك وقال: يا ابن رسول الله هلا أوصيت إلى أكبر أولادك؟ قال: يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالصغر والكبر، هكذا عهد إلينا رسول الله، وهكذا وجدنا مكتوباً فى اللَّوح والصحيفة [۱] . وكانت أمّه - حسبما قال: الإمام الصادق (ع) - صديقة لم يدرك فى آل الحسن مثلها [۲] .

النشأة الطيبة

عاش فى ظل جده السبط الشهيد عليه السلام أربع سنوات، وصبغت شخصيته الفذة بتلك الصبغة الإلهية التى تجلت فى حياة السبط الشهيد، ولا ريب أن مأساة كربلاء الفجيعة تركت طابعها على نفسية الإمام الباقر (ع) الذى رافق صورها وشاهدها لحظة بلحظة.. لأنه - حسب بعض الرواة - كان ممن حضرها مع سائر ابناء الأسرة الهاشمية. وبعد تلك الفاجعة عاش الإمام (۱۹) سنة و(۶۰) يوماً فى ظل والده سيد الساجدين [۳] ، حيث كانت حياته الكريمة مثلاً أعلى للصبغة الربانية، وظل شعاع تلك الحياة يضىء درب السالكين إلى الله.. حتى اليوم. ومنذ باكورة حياته المباركة تجلت فيه ملامح الإمامة. وقد جاء فى الحديث المأثور عن أبى الزبير محمد بن مسلم المكى قال: كنا عند جابر بن عبد الله فأتاه على بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبى، فضمه جابر إليه فقال على لابنه: قبّل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبل رأسه، فقال جابر: من هذا؟وكان قد كفّ بصره - فقال له على: هذا ابنى محمد فضمه جابر إليه وقال: يا محمد! محمد رسول الله (ص) يقرأ عليك السلام، فقالوا لجابر: كيف ذلك يا ابا عبد الله؟ فقال: كنت مع رسول الله (ص) والحسين فى حجره وهو يلاعبه، فقال: يا جابر يولد لابنى الحسين ابن يقال له على إذا كان - يوم القيامة - نادى مناد ليقم سيد العابدين، فيقوم على بن الحسين، ويولد لعلى ابن يقال له محمد، يا جابر إن رأيته فاقرأه منى السلام واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسير. فلم يعش (جابر) بعد ذلك إلّا قليلاً ومات [۴] وبعد والده اضطلع بمقام الإمامة العامة.

الإمامة وعلم الأنبياء

عندما آلت شمس بنى أمية إلى المغيب وضعفت سلطتهم بفعل الثورات الرسالية المتلاحقة.. وجد الإمام الباقر (ع) فرصة لنشر معارف القرآن التى كانت مستوعبة فى الصحيفة التى توارثها أهل البيت (ع) من رسول الله.. فى ذلك اليوم كان المجتمع الإسلامى بحاجة إلى معارف القرآن، إنه قد اتسع فى كل أفق وأصبح خيمة تشمل شعوباً مختلفة وبقايا حضارات، فعلى أى أساس نقيم هذا المجتمع الجديد.. وماهى قِيَمه التوحيدية وأطر الثقافة العامة وروح قوانينه فى مختلف الحقول.. بالأمس نشر الإمام السجاد (ع) راية التوحيد عبر أدعيته وابتهالاته. وصنع بها حياة المجتمع المسلم وبالذات المجتمع الرسالى التابع لخط أهل البيت عليهم السلام. أما اليوم فإن تلك

القاعدة التوحيدية الرصينة قد رست، ويأتي الإمام الباقر (ع) ليبنى عليها صرح المعارف. ويكمله الإمام الصادق (ع) ببيان المزيد من التفاصيل فى الحكمة الإلهية والتفسير والفقه.. ماهى المعارف التى نشرها الإمام الباقر (ع) وكيف استطاع إليها سبيلاً؟ قد يسلك فى طريق العلم من التجارب الجزئية صعوداً إلى القواعد العامة. وقد ننطلق من تلك القواعد إلى المفردات الجزئية. وبينما السبيل الأول هو منهج عموم الناس فى بلوغ العلم، فإن المنهج الثانى هو سبيل علم الأنبياء وأوصيائهم المتصلين بالوحى، ومن هنا جاء فى الحكمة المأثورة: العلم نقطة كثَّرها الجاهلون. والأساس الظاهر لعلم الرسول وخلفائه المعصومين عليهم السلام، هو القرآن المفسر بالحديث النبوى، ولكن الأساس الحقيقى هو نور العقل الذى يتوهج بالإيمان والإلهام فى افئدة العارفين بالله.. ذلك العقل الذى أوتى الناس منه قدر ضئيل وأكمله الله لنبيِّه وأوصياء نبيّه. وإن توهج نور العقل عند أبناء البشر. وتجليه فى تلك المعارف الأولية التى يعرفها كل شخص، وفى تلك القيم التى يتحاكم الناس إليها فيما بينهم. وفى تلك الإضاءات التى نجدها عند طائفة من الناس دون غيرهم تجعلهم نوابغ وعظماء كبار.. كل ذلك يهدينا إلى معنى العلم الكونى الذى يلقيه ربنا فى روع الصفوة من أوليائه.. وجاء فى الحديث الشريف: " العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء ". وترى بعض الناس يتشكك فى مثل هذا العلم عند الأنبياء والأئمة، والمحدثين من فقهاء الأمة.. يستشهد بقول الله سبحانه: «وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ» (الانعام/۵۹) وقوله: «قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَـٰوَاتِ وَالاَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا الله» (النمل/۶۵) حقّاً إذا كان مراد هؤلاء أن الإنسان لايعلم الغيب بصفة ذاتية، فإنه حق لاريب فيه، ولكن: إذا أرادوا أنَّ الله لايقدر على تعليم الغيب لبعضهم، نقول: بلى هو قادر، أليس كلنا يعرف قدراً من العلم بالمستقبل، فمثلاً أولسنا نعرف أننا نموت وأن الساعة آتية لاريب فيها. وان الله يبعث من فى القبور. وأن الشمس تشرق غداً وهى لابدّ غاربة اليوم؟ وعشرات من المعارف المستقبلية التى تشكل أكثر من نصف معلوماتنا وهى أساس العلم، والهدف الأساسى منه؟ والله سبحانه علّم الإنسان مالا يعلم، والوحى جزء من علم الغيب الذى علّمه ربنا لمن ارتضاه من عباده.. وقد قال ربنا سبحانه: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً» (الجن/۲۶-۲۷). وقال: «وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ الله يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ فَامِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (آل عمران/۱۷۹) وقال: «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» (آل عمران/۴۴) وأخيراً: إن هؤلاء شككوا فى " مدى " علم الأنبياء والأوصياء، إنهم لم يستوعبوا كيف يمكن لبشر محدود أن يبلغ علم الحقائق من لدن رب العزة، فهم ينطلقون فى تكذيب هذا " المدى " من العلم من ذات المنطلق الذى كذب الأولون بالنبوة، وهو الجهل بالمقام الذى جعل للإنسان الذى يتوجه إلى الله ويخلص له وجهه، بيد أن هؤلاء " اضطروا " إلى الإعتراف بالنبوة، ولما يعرفوا أبعادها فقلصوها إلى أقل قدر ممكن، وحاولوا الكفر بمعاجز الأنبياء وبمقاماتهم الرفيعة أنى استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وإذ أعجزتهم الحيلة فى ذلك عمدوا إلى الأوصياء فنفوا كرامتهم على الله، وإمكانية تلقيهم العلم من مصدر الغيب إلهاماً، وإذا أنصفوا أنفسهم وأنصفوا للحق لما وجدوا مانعاً عقلياً من الإعتراف بذلك، بعد أن توافرت أدلة بالغة القوة تهديهم إليه من خلال دراستهم لكلماتهم من دون تعصب أعمى أو أحكام مسبقة. وقد ابتلى الإمام الباقر (ع)، شأنه شأن سائر الأئمة عليهم السلام بنمطين متنافرين من الناس، فبينما زعم بعضهم أنه ليس من البشر وبذلك مرق من الدين بسبب غلوه، نجد كثيراً من الناس لم يعترفوا بمقامه الكريم. من النمط الأول كان المغيرة بن سعيد الذى غلا فى الدين وكذب على الإمام الباقر (ع)، حتى قال عنه الإمام لبعض أصحابه (سليمان اللَّبان): أتدرى ما مثل المغيرة بن سعيد: قال قلت: لا. قال: مثله مثل بلعم الذى أوتى الاسم الأعظم الذى قال الله «ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ». (الاعراف/۱۷۵) [۵] . أما النمط الثانى فهم أغلب الذين لم يحتملوا علم الإمام ومعرفته بما لا يعرفون، وكرامته على الله، واستجابة الله دعاءه فى الأمور!! فهؤلاء لاينكرون فضائل أهل البيت عليهم السلام فقط، بل ويرون أنها من المستحيلات، لماذا؟ لأنهم لما يبلغوا معرفة أنبياء الله وأوليائه عليهم صلوات الله ومعرفة كرامتهم على الله. ولو كانوا يتفكرون فى خلق الإنسان وكيف استخلفه الله فى الأرض، وسخر له ما فيها بما آتاه من علم وقدرة، لعرفوا أن من حكمة الله سبحانه أن يفضل بعض الناس على بعض فى العلم، وليهب

لمن أطاعه وأخلص له المزيد من المعرفة سواء عبر الوحى كالرسل أو عبر الإلهام، كما فعل بأوصياء الرسل. ثم إن ما أوحى به الله من الكتاب فيه آفاق من العلم لا يبلغها إلاّ من امتحن الله قلبه بالإيمان، لأنه نور الله الذى يشع من مشكاة النبوة. إنه ذكر الله الذى يرتفع من بيوت الأوصياء كما قال سبحانه: «اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ» (النور/۳۵). قال: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ» (النور/۳۶-۳۷). ثم قال: «وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ» (النور/۴۰). هكذا نور الله الذى منح جزءاً بسيطاً منه للإنسان، فإذا به يعرف علما يسخر به كل شىء من حوله، إنه لو سلب منه ترى ماذا يبقى له؟ هل يستطيع آنئذٍ أن يعرف شيئاً. فلو اجتمعت البشرية وحاولوا إعادة مجنون إلى رشده. أو شيخ مخرف إلى سابق علم، أو تعليم هرة دروس الرياضيات، هل استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؟ كلا.. فلماذا ينكرون على الله الذى منح البشر هذا النور أن يكون قادراً على مضاعفته لخيرة عباده؟ هكذا نعرف أن الوحى والإلهام هما فى إطار سنن الله فى خلقه، يقبلهما العقل ويطمئن إليهما القلب. وعلم أئمة أهل البيت عليهم السلام لايخرج من دائرة هذه السنن أيضاً، فإما أنَّه مستوحىً من الوحى أو بالإلهام. ويتصل علم الأئمة بالوحى عبر السبل التالية: أولاً: العلم من كتاب الله. بالتدبر فيه وتأويل آياته على الحقائق والوقائع. أليس فى القرآن علم ما كان وما يكون، وفصل ما هو كائن، ومن أولى بكتاب الله ممن أنزل فى بيوتهم وزقوا علمه مع اللبن زقاً. وقد كان الأئمة عليهم السلام شديدى الوله بالقرآن، عظيمى الإحترام له، وكانوا يختمونه فى كل ثلاثة أيام مرة، وربما فى كل يوم، وكانوا يقولون أنهم يستفيدون منه علماً جديداً كلما أعادوا قرائته حتى أنهم استفادوا علم الآفاق من آياته الكريمة، فقد قال الإمام الصادق (ع) - فيما روى عنه -: والله إنى - أعلم ما فى السماوات وأعلم ما فى الأرض وأعلم ما فى الدنيا وأعلم ما فى الآخرة -. فرأى تغير جماعة - فقال وهو يخاطب بكير بن أعين: يا بكير إنى لأعلم ذلك من كتاب الله تعالى إذ يقول: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَىْءٍ» [۶] . ثانيا: أحاديث الرسول (ص) والتى توارثوها من آبائهم عبر جدهم الأعلى الإمام أمير المؤمنين، وجدتهم الطاهرة فاطمة الزهراء عليهم االسلام جميعاً. فقد جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الباقر (ع) أنه قال لجابر بن عبد الله: يا جابر إنّا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنّا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم [۷] . ومعروف أن خزائن علم النبوة كانت قد انتقلت إلى رسول الله. وورثها أهل بيته (ع). ويبدو أنها كانت مكنونة فى جفر عظيم. حيث جاء فى الحديث المروى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: إن عندى الجفر الأبيض. فلما سأله الرواى وأى شىء فيه؟ قال: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى أن فيه الْجُلدة ونصف الْجَلدة وثُلث الْجَلدة وربع الْجَلدة وأَرشُ الخدش، الحديث [۸] . وكان فى هذا الجفر مجموعة تراث أهل البيت من أحاديث النبى. منها مصحف فاطمة وهو مجموعة أحاديثها التى كتبها الإمام أمير المؤمنين (ع) فى صحيفة، وحسب ما جاء فى رواية أن فيه ما يكون من حوادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة [۹] . كما أن من تراثهم كتاب يسمى بالجامعة، وهو من إملاء رسول الله (ص) وكتابة أمير المؤمنين (ع) طوله سبعون ذراعاً وفيه أحكام الشريعة كلها. هكذا جاء فى حديث مروى عن أبى بصير عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: سمعته يقول وذكَّر ابن بسترمه فى مسألة أفتى بها: أين هو من الجامعة إملاء رسول الله بخط على فيها جميع الحلال والحرام حتى أرش الخدش [۱۰] . وهذا التراث العلمى كان ينتقل من أئمة أهل البيت عليهم السلام من كابر لكابر، ووجوده عند واحد من أبناء الإمام الراحل كان شاهداً على أنه وصيه. لذلك نقرأ فى تاريخ الإمام الباقر (ع) أن والده الإمام السجاد (ع) التفت إلى ولده وهو فى مرض الموت وهم يجتمعون عنده، ثم التفت إلى محمد بن على ابنه. فقال: يا محمد هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك ثم قال.. أما إنه لم يكن فيه دينار ولا درهم ولكنه كان مملوءاً علماً. ونتساءل: كيف تجتمع أحكام الشريعة كلها فى كتاب محدود طوله سبعون ذراعا؟ لعل ذلك الكتاب كان محتوياً على أصول العلم ومعاقله وضيائه، حيث كان الأئمة عليهم السلام يستلهمون منها سائر أبواب العلم. كما علَّم النبى (ص) الإمام علياً (ع) أبواب العلم جميعاً بهذه الطريقة، حيث جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الصادق (ع): أوصى رسول الله إلى على بألف كلمة يفتح كل كلمة ألف كلمة [۱۱] . وفى تعبير

آخر جاء على لسان الإمام الباقر (ع) عن جده أمير المؤمنين أنه قال: لقد علمنى رسول الله ألف باب يفتح كل باب ألف باب [۱۲]. وهكذا بيَّن الأئمة أن عندهم أصول العلم ومعاقله مما يظهر أنها هى التى فى تراثهم من الرسول (ص)، فقد جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: " إن رسول الله أنال فى الناس وأنال وأنال، وإنَّا أهل بيت عندنا معاقل العلم، وأبواب الحكم، وضياء الأمر.. ". وفى حديث مأثور عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: " إن رسول الله قد أنال فى الناس وأنال وأنال، - يشير كذا وكذا - وعندنا أهل البيت أصول العلم وعراه وضياؤه وأواخيه " [۱۳].

علم الإلهام

إذا كان العلم نور الله يقذفه فى قلب من يشاء فما الذى يمنع عن قذف نور العلم فى قلب أوليائه، هكذا كان من مصادر علم الأئمة عليهم السلام الإلهام، والذى ترافقه سكينة تجعلهم يثقون بأنه من عند الله. كذلك روى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: إن علمنا غابر ومزبور ونكت فى القلب ونقر فى الأسماع، قال: أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكت فى القلوب فإلهام، وأما النقر فى الأسماع فإنه من الملك. وروى زرارة مثل هذا الحديث وأضاف: قلت كيف يعلم أنه كان الملك ولا يخاف من الشيطان إذا كان لايرى الشخص قال.. إنه يلقى عليه السكينة فيعلم أنه من الملك، ولو كان من الشيطان اعتراه الفزع. وإن كان الشيطان - يأزره - لايتعرض لصد هذا الأمر [۱۴]. وعلم الإمام الباقر (ع) - كما سائر أئمة الهدى انبعث من هذه الروافد، فلم يكن غريباً، ما أظهر الله على لسانه من معارف الدين حتى قال الشيخ المفيد (قدس سره). لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن وسيرة وفنون الآداب ما ظهر عنه [۱۵]. من هنا ترى عظماء الفقه والحديث يعترفون بالمصدر الإلهى لعلمه الغزير، فقد جاء فى كشف الغمة عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذى فى كتابه معالم العترة الطاهرة عن الحكم بن عتيبة (وكان من كبار فقهاء عصره) أنه قال فى تفسير قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ» (الحجر/۷۵). قال: كان والله محمد بن على منهم [۱۶]. وحكى عن أبى نعيم فى كتابه الحلية أنه سأل رجل ابن عمر عن مسألة فلم يدر ما يجيبه، فقال اذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمنى بما يجيبك، وأشار إلى الباقر (ع) فسأله فأجابه فأنجد ابن عمر فقال: إنهم أهل بيت مفهمون [۱۷]. والتعبير بكلمة مفهمون كان شائعاً فى ذلك العصر، وكان يعنى أنهم مؤيدون من عند الله يلقى عليهم الرب علماً بالإلهام. ولذلك ترى من العلماء من يقصدونه من كل أفق بحثاً عن علمه الإلهى حتى روى عن عبد الله بن عطاء أنه قال: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين (ع)، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته فى القوم بين يديه كأنه صبى بين يدى معلمه [۱۸]. وقد روى عنه محمد بن سلم ذلك الفقيه المتبحر ثلاثين ألف حديث، أما جابر الجعفى فقد قال: حدثنى أبو جعفر سبعين ألف حديث لم أحدث أحداً أبداً [۱۹]. ولأن الظروف السياسية كانت تتسم ببعض الانفراج فلقد تسنى للإمام أن يحاجج الكثير من المخالفين له ويعيدهم إلى جادة الصواب، والتاريخ يسجل لنا بعض تلك الاحتجاجات، وننقل شيئاً منها لتكون شاهدة على ما وراءها من الحجج البالغة. ۱- لقد كان عبد الله بن نافع بن الأزرق واحداً من قادة الخوارج الذين كانوا أشد الفرق عداءً للإمام على (ع) وأهل بيته، وكان يقول: لو أنى علمت أن بين قطريها أحداً تبلغنى إليه المطايا يخصمنى أن علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلت إليه، فقيل له ولا ولده، فقال أفى ولده عالم فقيل له هذا أول جهلك أو هم يخلون من عالم؟ قال فمن عالمهم اليوم؟ قيل محمد بن على بن الحسين بن على، فرحل إليه فى صناديد أصحابه حتى أتى المدينة، فاستأذن على أبى جعفر فقيل له هذا عبد الله بن نافع، قال: وما يصنع بى وهو يبرأ منى ومن أبى طرفى النهار، فقال له أبو بصير الكوفى: جعلت فداك، إن هذا يزعم أنه لو علم أن بين قطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أن علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه، فقال له أبو جعفر: أتراه جاءنى مناظراً؟. قال: نعم!. قال: يا غلام، اخرجْ فحط رحله، وقل له إذا كان الغد فائتنا، فلما أصبح عبد الله بن نافع غدا فى صناديد أصحابه وبعث أبو جعفر إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم، ثم خرج إلى الناس وأقبل عليهم كأنه فلقة قمر فخطب فحمد الله وأثنى عليه

وصلى على رسوله (ص) ثم قال: الحمد لله الذى أكرمنا بنبوته واختصنا بولايته، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة لعلى بن أبى طالب فليقم وليتحدث، فقام الناس فسردوا تلك المناقب فقال عبد الله أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء، وإنما أحدث على الكفر بعد تحكيمه الحكمين " حتى انتهوا إلى حديث خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرار لا ـ يرجع حتى يفتح الله على يديه " فقال أبو جعفر (ع) ما تقول فى هذا الحديث؟ قال: هو حق لا ـ شك فيه ولكن أحدث الكفر بعد، فقال له أبو جعفر: ثكلتك أمك، أخبرنى عن الله عزَّ وجلَّ أحب على بن أبى طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم، فإن قلت لا كفرت، فقال: قد علم، قال: فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته، فقال: على أن يعمل بطاعته، فقال له أبو جعفر: فقم مخصوماً، فقام وهو يقول حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته [۲۰] . ۲- وكان قتادة من أبرز فقهاء البصرة ولكنه كان يتشوق إلى رؤية الإمام الباقر (ع) ومناظرته، حيث كانت المدينة المنورة حاضرة الفقه والتفسير وسائر المعارف الإلهية، ولذلك فقد انتشر علم الإمام إلى كل الآفاق.. من هنا جاء قتادة إلى المدينة يسأل عن الإمام فلما رآه قال له الإمام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال: ويحك يا قتادة إن الله عزّ وجلّ خلق خلقاً فجعلهم حججاً عى خلقه فهم أوتاد فى أرضه، قوام بأمره، نجباء فى علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلةً عن يمين عرشه. فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدى الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبى قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال له أبو جعفر: أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدى بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا ـ بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ثم ونحن أولئك. فقال له قتادة: صدقت والله جعلنى الله فداك ماهى بيوت حجارة ولا طين، قال: فأخبرنى عن الجبن، فتبسم أبو جعفر وقال: رجعت مسائلك إلى هذا، قال: ضلت عنى، فقال: لا بأس به، فقال: إنه ربما جعلت فيه أنفحة الميت، قال: ليس بها بأس إن الأنفحة ليس لها عروق ولا فيها دم ولا لها عظم، إنما تخرج من بين فرث ودم، ثم قال: وإنما الأنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة فهل تأكل تلك البيضة؟ قال قتادة: لا ولا آمر بأكلها فقال له أبو جعفر: ولِمَ؟ قال: لأنها من الميتة، قال له: فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة أتأكلها؟ قال: نعم قال: فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة، ثم قال: فكذلك الأنفحة مثل البيضة فاشتر الجبن من أسواق المسلمين من أيدى المصلين ولا تسأل عنه إلّا أن يأتيك من يخبرك عنه [۲۱] . ۳- وقد بث الإمام من علمه بين الناس حتى سمى باقراً، فقد جاء فى لسان العرب أنَّه لقب به (أى بالباقر) لأنه بقر العلم، وعرف أهله واستبسط فرعه وتوسع فيه. والتبقر التوسع [۲۲] . وقال ابن حجر فى صواعقه المحرقة: سمى بذلك من بقر الأرض أى شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهرَ من مخبأة الكنوز والمعارف، وحقائق الأحكام والحكم، ولطائف مالا يخفى إلّا على متطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه [۲۳] . وقد أفاض الإمام على المسلمين من علمه عبر تربيته لطائفة عظيمة من الفقهاء والمفسرين وحكماء المعارف الإلهية، من أمثال جابر بن يزيد الجعفى، ومحمد بن مسلم، وأبان بن تغلب، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، وأبو بصير الأسدى، والفضيل بن يسار وآخرين. كما أنه نشر العلم عبر من روى عنه من علماء عصره من أمثال: ابن المبارك، والزهرى، والأوزاعى. وأبى حنيفة ومالك والشافعى وزياد بن المنذر الهندى والبطرى والبلاذرى والسلامى والخطيب وغيرهم [۲۴] . وكان الولاة يجأرون إلى أهل بيت الرحمة كلما دهمتهم داهمة، وبالرغم من الصراع الحاد القائم بين الطرفين لم يدّخر الأئمة عليهم السلام وسعاً فى خدمة الإسلام وإنقاذ الأمة من الأخطار المحيطة بهم. من ذلك ما ينقل لنا التاريخ من ورطة وقع فيها الخليفة الأموى عبد الملك حسبما ذكره إبراهيم بن محمد البيهقى فى كتابه المحاسن والمساوئ حيث نقل عن الكسائى أنه قال: دخلت على الرشيد ذات يوم وهو فى (إيوانه وبين يديه مال كثير قد تشق عنه البدر شقاً، وأمر بتفريقه فى خدم الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثنى فقال: هل علمت أول من سن هذه الكتابة فى الذهب والفضة؟ قلت يا سيدى هو عبد الملك بن مروان! قال: فما كان السبب فى ذلك؟ قلت: لا علم لى غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة! فقال: سأخبرك: كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز

بالروميـة، وكان طرازها أباً وابناً وروحاً قـديساً فلم يزل ذلك كـذلك وصدر الإسـلام كله يمضـى على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملـك فتنبه له وكـان فطناً، فبينا هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم إلى العربيـة ففعل ذلك، فأنكره وقال: ما أغلظ هـذا فى الدين والإسـلام، أن يكون طراز القراطيس بمصر وهى تحمل فى الأوانى والثياب، فتدور فى الآفاق والبلاد وقد طرزت بشـرك مثبت عليهـا، فـأمر بالكتـاب إلى عبـد العزيز بن مروان وكـان عـامله بمصـر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأمر صنّاع القراطيس بأن يطرزوها بسورة التوحيد و «شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» (آل عمران/۱۸)، وهذا طراز القراطيس خاصـة إلى هـذا الـوقت لـم ينقص ولـم يزد ولـم يتغير، وكتـب إلى عمـال الآفـاق جميعـاً بإبطـال مـا فى أعمـالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبـة مـن وجـد عنـده بعـد هـذا النهى شـىء منهـا بالضـرب الوجيـع والحبس الطويـل، فلمـا أثبتت القراطيس بـالطراز المحـدث بالتوحيـد وحملت إلى بلاـد الروم، أنتشـر خبرها ووصل إلى ملكهم، فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه واسـتشاط غضباً فكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقـدمَك من الخلفاء قـد أصاب فقـد أخطأت، وإن كنت قـد أصـبت فقـد أخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقـد بعثت إليـك بهديـة تشـبه محلك وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه فى جميع ما كان يطرز من أصـناف الأعلاق، حاجة أشـكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر، فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه أن لا جواب له ولم يقبل الهدية، فانصرف بها إلى صاحبه فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك وقال: إنى ظننتك استقللت الهديـة فلم تقبلها ولم تجبنى عن كتابى، فأضـعفت لك الهديـة وأنا أرغب إليك فى مثل ما رغبت فيه من رد هـذا الطراز إلى ما كان عليه أولاً فقرأ عبـد الملـك الكتـاب ولم يجبه ورد الهديـة، فكتب إليه ملك الروم يقتضـى أجوبـة كتبه ويقول: إنك قـد اسـتخففت بجوابى وهديتى ولم تسـعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسيح لتـأمرن برد الطراز إلى مـا كـان عليه أو لآمرن بنقش الـدنانير والـدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شـىء منها إلّا ما ينقش فى بلادى، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت فى الإسـلام فينقش عليها من شتم نبيك ما إذا قرأته ارفض جبينك له عرقاً، فأحب أن تقبل هديتى، وترد الطراز إلى ما كان عليه، وتجعل ذلك هدية بررتنى بها وتبقى على الحال بينى وبينك، فلما قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه وضاقت به الأرض وقال: أحسـبنى أشأم مولود ولد فى الإسلام لأنى جنيت على رسول الله (ص) من شتم هذا الكافر ما يبقى غابراً ولاـ يمكـن محـوه مـن جميع مملكـة العرب، إذ كـانت المعاملات تـدور بيـن النـاس بـدنانير الروم ودراهمهم، فجمـع أهـل الإسـلام واسـتشارهم فلم يجـد عنـد أحـد منهم رأيـاً يعمل به، فقال له روح بن زنباع: إنك لتعلم الرأى والمخرج من هـذا الأمر ولكنك تتعمد تركه، قـال ويحـك من؟ قـال: البـاقر من أهل بيت النبى (ص) قال: صـدقت ولكن أُرتـج علىّ الراى فيه فكتب إلى عامله بالمدينـة أن أَشْخص إلى محمـد بن على بن الحسين مكّرماً ومتّعه بمائتى ألف درهم لجهازه وبثلاثمائـة ألف درهم لنفقته، وأزح علته فى جهازه من يخرج معه من أصـحابه، واحتبس الرسول قبله إلى موافاته عليه، فلما وافى أخبره الخبر فقال له الباقر (ع): لا يعظمن هذا عليك فإنه ليس بشـىء من جهتين: (احـداهما) أن الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ما تهددك به صاحب الروم فى رسول الله (ص). (والأخرى) وجود الحيلـة فيه، قال: وماهى؟ قال: تدعو فى هذه الساعة بصـنّاع فيضـربون بين يديك سـككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله (ص)، أحدهما فى وجه الدرهم والدينار والآخر فى الوجه الثانى، وتجعل فى مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذى يضـرب فيه والسنة التى تضرب فيه تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة التى العشرة منهـا وزن عشـرة مثاقيـل وعشـرة منهـا وزن سـتة مثاقيل وعشـرة منها وزن خمسـة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً واحـداً وعشـرين مثقالاً فتجزئها من الثلاثين فتصـير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صـنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الـدراهم على وزن عشـرة والـدنانير على وزن سـبعة مثاقيـل، وكـانت الـدراهم فى ذلك الوقت إنما هى الكسـروية التى يقال لها اليوم البغليـة لأـن رأس البغـل ضـربها لعمر بن الخطـاب بسـكة كسـروية فى الإسـلام مكتوب عليهـا صورة الملك وتحت الكرسـى مكتوب

بالفارسية (نوش خر) أى كل هنيئاً، وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السميرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس. ففعل عبد الملك ذلك وأمره محمد بن على بن الحسين أن يكتب السكك فى جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم إلى الناس فى التعامل بها وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك الإسلامية، ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم إليه يعلمه بذلك، ويقول: إن الله عزّ وجلّ مانعك مما قدرت أن تفعله وقد أقدمت إلى عمالى فى أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطراز الرومية، فقيل لملك الروم إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال: إنما اردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأنى كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم الروم فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام وممتنع من الذى قال. وثبت ما اشار به محمد بن على بن الحسين إلى اليوم ثم رمى يعنى الرشيد بالدرهم إلى بعض الخدم [۲۵] . إن العلم الإلهى الذى حباه به الرب بما أخلص له فى الطاعة، واجتهد فى سبيله بالدعاء والعمل، إنه كان وراء إرشاده إلى السبيل الأفضل لمواجهة تهديد ملك الروم. وهذا العلم كان يميز الإمام الحق عمن ادعوا هذا المقام بغير حق، سواء الولاة الظالمون أو العلويون الذين نازعوا الأئمة حقهم. وهكذا نجد فى تاريخ أهل البيت عليهم السلام كيف كان يقول شيعتهم عليهم بما لديهم من علم الدين والعلم بالحقائق الخفية بإذن الله، وبالتوسم بنور الله وبتأييد ملائكة الله. وفيما يلى ننقل بعض الأحاديث التى تزيدنا معرفة بمقام الإمامة عموماً وبدرجات الإمام الباقر (ع) بالذات. فقد روى الحلبى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: دخل الناس على أبى (الإمام الباقر) وقالوا: ما حد الإمام؟ قال: حده عظيم، إذا دخلتم عليه فوقروه وعظموه وآمنوا بما جاء به من شىء، وعليه أن يهديكم، وفيه خصلة إذا دخلتم عليه لم يقدر أحد أن يملأ عينه منه إجلالاً وهيبةً، لأن رسول الله (ص) كذلك كان، وكذلك يكون الإمام، قالوا: فيعرف شيعته؟ قال: نعم ساعة يراهم، قالوا: فنحن لك شيعة؟ قال: نعم كلكم قالوا: أخبرنا بعلامة ذلك قال: أخبركم باسماءكم وأسماء آبائكم وقبائلكم؟ قالوا: أخبرنا، فأخبرهم، قالوا: صدقت، (قال:) وأخبركم عما أردتم أن تسألوا عنه فى قوله تعالى: «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَآءِ» (ابراهيم/۲۴) نحن نعطى شيعتنا من نشاء من علمنا، ثم قال: يقنعكم؟ قالوا: فى دون هذا نقنع [۲۶] . وينقل عبد الله بن معاوية الجعفرى قصته مع والى المدينة، الذى بعث عبره برسالة تهديد إلى الإمام الباقر (ع)، فلم يأبه بها الإمام لأن الله أطلعه على أنه معزول قريبا، يقول سأحدثكم بما سمعته أذناى ورأته عيناى من أبى جعفر (ع) أنه كان على المدينة رجل من آل مروان وأنه أرسل إلىّ يوماً فأتيته وماعنده أحد من الناس، فقال: يا معاوية إنما دعوتك لثقتى بك، وإنى قد علمت أنه لايبلغ عنى غيرك، فأحببت أن تلقى عمَّيْك محمد بن على وزيد بن الحسين (ع) وتقول لهما: يقول لكما الأمير لتكفان عما يبلغنى عنكما، أو لتنكران، فخرجت متوجهاً إلى ابى جعفر فاستقبلته متوجهاً إلى المسجد فلما دنوت منه تبسم ضاحكاً فقال: بعث إليك هذا الطاغية ودعاك وقال: القَ عمَّيك فقل لهما كذا؟ قال: أخبرنى ابو جعفر بمقالته كأنه كان حاضراً، ثم قال: يا ابن عم قد كفينا أمره بعد غد، فإنه معزول ومنفى إلى بلاد مصر والله ما أنا بساحر ولا كاهن، ولكنى أتيت وحدثت، قال: فوالله ما أتى عليه اليوم الثانى حتى ورد عليه عزله ونفيه إلى مصر وولى المدينة غيره [۲۷] . أما أبو بصير الذى كان من خواص الإمام فإنه يروى قصته مع الإمام وكيف كان (ع) يراقبه ويؤدبه يقول: كنت أقرئ امرأة القرآن بالكوفة فمازحتها بشىء، فلما دخلت على أبى جعفر عاتبنى وقال: من ارتكب الذنب فى الخلاء لم يعبأ الله به، أى شىء قلت للمرأة؟ فغطيت وجهى حياءً وتبت فقال أبو جعفر: لا تعد [۲۸] . ويروى أبو بصير أيضاً كيف أخبر الإمام عن ملك بنى العباس قبل سنين من توليهم السلطة فيقول: كنت مع الباقر فى مسجد رسول الله (ص) قاعداً حدْثان ما مات على بن الحسين (ع) إذ دخل الدوانيقى وداود بن سليمان قبل أن أفضى الملك إلى ولد العباس، وما قعد إلى الباقر إلّا داود فقال الباقر (ع): ما منع الدوانيقى أن يأتى؟ قال: فيه جفاء، قال الباقر (ع): تذهب الأيام حتى يلى أمر هذا الخلق ويطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها بطول عمره فيها حتى يجمع من كنوز الأموال مالم يجتمع لأحد قبله، فقام داود وأخبر الدوانيقى بذلك فأقبل إليه الدوانيقى وقال: ما منعنى من الجلوس إليك إجلالك فما الذى خبرنى به داود؟ فقال: هو كائن، قال: وملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم، قال: يملك بعدى أحد من

ولـدى؟ قال: نعم، قال: فمـدة بنى أميـة أكثر أم مـدتنا؟ قال: مـدتكم أطول وليتلقفن هذا الملك صبيانكم ويلعبون كما يلعبون بالكرة، هذا ما عهده إلىّ أبى، فلما ملك الدوانيقى تعجب من قول الباقر (ع) [۲۹] .

خصال الإمام

لا يختار الله عبداً لمقام الإمامة. ويجعله حجة بالغة على خلقه إلّا إذا اكتملت فيه الخصال الجيدة. وكان مثلاً لما أقر به سبحانه فى كتابه من خشـية الله وتوقيره. وتعظيمه وتجليله. وإخلاـص العبوديـة له والتى تتجلى فى جملـة أقواله وأفعاله. فلا يقول إلّا صواباً ولا يعمل إلّا رشداً. وإذا كنا ننقل بعض خصال الإمام الباقر (ع) الحميدة، أو خصال أحد المعصومين عليهم السـلام، فلكى نأتى بالشواهد الواضـحة التى تدلنا على أمثالها، وليس لأننا نريد أن تختصـر كل حياة الإمام فيها. أو نحصى فضائله وخصاله الحميدة، كلا.. لأننا نعرف سلفاً أن حيـاتهم كـانت صـورة واقعيـة عـن القرآن الكريم، بيـد أن مـا بلغنـا منهـا لم يكن مستوعباً لجـوانب حيـاتهم، لأـن جانبـاً منهـا انبهر به المؤرخون فـأكثروا فيه الحـديث واكتفوا بقيـاس سـائر الجوانب عليه، فمثلاً ذكروا من حياة الإمام السـجاد جانب العبادة، ولم يتحـدثوا كثيراً عن جانب العلم، بينما عكسوا الأمر فيما يتصل بحياة الإمام الباقر (ع). وهكذا نكتفى ببعض الإشـراقات التى وصلت إلينا من حياة الإمام ونترك للقارئ أن يقيس سائر أبعاد حياته عليها. " قال: ابن شـهراشوب فى المناقب ": كان أصدق الناس لهجة وأحسـنهم بهجة وأبـذلهم مهجـة، وكان أقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونـة، وكان يتصدق كل جمعة بدينار، وكان يقول الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضـل يوم الجمعـة على غيره من الأيام، وكان إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا فأمنوا، وكان كثير الـذكر، كان يمشـى وإنه ليـذكر الله ويأكل الطعام وإنه ليـذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشـغله عن ذكر الله، وكان يجمع ولده فيأمرهم بالذكر حتى تطلع الشـمس، ويـأمر بـالقراءة من كـان يقرأ منهم ومن كـان لاـ يقرأ منهم أمره بالـذكر، ويأتى قول المفيـد: وكان ظاهر الجود فى الخاصـة والعامـة مشـهور الكرم فى الكافة، معروفاً بالتفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله، ويأتى عن سـليمان بن دمدم أنه عليه السـلام كان يجيز بالخمسـمائة درهم إلى الستمائة إلى الألف، وكان لا يمل من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه، وكان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتنى. وقال الأبى فى كتاب نثر الدرر: كان إذا رأى مبتلى أخفى الاسـتعاذة، وكان لايسمع من داره يا سائل بورك فيك ولا يا سائل خذ هذا وكان يقول: سـموهم بأحسن أسمائهم [۳۰] . وحينما يذكر أبو نعيم فى كتابه الحلية الإمام يصـفه بهذا النعت: الحاضر الـذاكر الخاشع الصابر أبو جعفر محمد بن على الباقر [۳۱] . وكان من شـدة خشوعه ما يذكره (أفلح) مولى أبى جعفر أنه قال: خرجت مع محمـد بن على حاجّاً فلما دخل المسـجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته، فقلت: بأبى أنت وأمى إن الناس ينظرون إليك فلو رفعت بصوتك قليلاً [۳۲] فقال لى: ويحك يا أفلح ولم لا أبكى لعل الله تعالى أن ينظر إلىّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً، قال (أفلح) ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سـجوده فإذا موضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينه ويضيف أفلح قائلاً: كان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتنى [۳۳] . ويقول نجلُه الإمام الصادق (ع) وهو يصف تبتل والـده إلى الله: كان أبى كثير الذكر، لقد كنت أمشـى معه وإنه يـذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليـذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشـغله ذلك عن ذكر الله. وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا الله إلّا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقرآن من كان يقرأ منا ومن كان لايقرأ منا أمره بالذكر [۳۴] . ويقول الإمـام الصـادق (ع): إنى كنت أمهـد لأـبى فراشه فأنتظره حتى يأتى، فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشـى. وإنه أبطأ علىّ ذات ليلة فأتيت المسجد فى طلبه وذلك بعدما هدأ الناس، فإذا هو فى المسجد ساجد، وليس فى المسجد غيره وسـمعت حنينه وهو يقول: سبحانك اللهم أنت ربى حقاً حقاً، سجدت لك تعبداً ورقاً، اللهم إن عملى ضعيف فضاعفه لى، اللهم قنى عـذابك يوم تبعث عبـادك، وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم [۳۵] . وكـان (ع) شديـد الحب لكتاب ربه، عظيم الاهتمام به والتأثر بآيـاته، حـتى أن أبـان بن ميمـون القـداح قـال: قـال لى أبو جعفر (ع): إقرأ. قلت: من أى شـىء أقرأ؟. قـال: من السورة التاسـعة؟ قـال: فجمعت ارتمسـها فقال: اقرأ من سورة يونس فقال.. قرأت «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ» (يونس/۲۶)

قال: حسبك، قال: قال رسول الله (ص): إنّي لأعجبُ كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن [۳۶] . وكان يستلهم من كتاب ربه معارف الدين حتى أنه يدعو الرواة أن يسألوه عن مصدر أقوالهم من القرآن، هكذا يروى أبو الجارود قال: قال أبو جعفر (ع): إذا حدثتكم بشيء فاسألونى عن كتاب الله. ثم قال: حتى حديثه أن الله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال: فقالوا يابن رسول الله وأين هذا من كتاب الله؟ فقال: إن الله عزّ وجلّ يقول فى كتابه: «لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ» (النساء/۱۱۴) وقال: «وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَاماً» (النساء/۵) وقال: «لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» (المائدة/۱۰۱) [۳۷] . وإذا سأل عن حاله استغل السؤال لتذكير نفسه والسائل بالله، فقد روى أنه قيل لمحمد بن على الباقر (ع) كيف أصبحت: قال: " أصبحنا غرقى فى النعمة، موتورين بالذنوب، يتحبب إلينا إلهنا بالنعم، ونتمقت إليه بالمعاصى، ونحن نفتقر إليه وهو غنى عنّا " [۳۸] . وكان (ع) شديد التسليم لأمر الله فقد روى بعض أصحابه أنه قال: كان قوم أتوا أبا جعفر (ع): فوافَوا صبياً له مريضاً، فرأوا منه اهتماماً وغماً، وجعل لا يقر (قال) فقالوا: والله لإن أصابه بشيء إنا نتخوف أن نرى منه ما نكره، قال فما لبثوا أن سمعوا الصياح عليه، فإذا هو قد خرج عليهم منبسط الوجه فى غير الحال التى كان عليها، فقالوا له: جعلنا الله فداك لقد كنا نخاف مما نرى منك أن لو وقع ان نرى منك ما يغمنا، فقال لهم: إنا لنحب أن نعافى فى من نحب، فإذا جاء أمر الله سلمنا فيما يحب [۳۹] . وكان (ع) لا يلويه عن العمل الصالح شيء. وفى ذلك رواية طريفة ينقلها بعض أصحابه حيث يقول: - حضر أبو جعفر (ع) جنازة رجل من قريش وأنا معه، وكان فيها عطاء فصرخت صارخة فقال عطاء: لتسكتن أو لنرجعن، قال: فلم تسكت فرجع عطاء قال: فقلت لأبى جعفر (ع) إن عطاء قد يرجع، قال: ولِمَ؟ قلت: صرخت هذه الصارخة فقال لها: لتسكتن أو لنرجعن؟ فلم تسكت فرجع، " فقال: إمضِ بنا فلو أنا إذا رأينا من الباطل مع الحق تركنا له الحق لم نقضِ حق مسلم، قال: فلما صلى على الجنازة قال وليها لأبى جعفر: إرجع مأجوراً رحمك الله فإنك لا تقوى على المشى، فأبى أن يرجع، قال فقلت له: قد اذن لك فى الرجوع ولى حاجة أريد أن أسالك عنها، فقال: إمضِ فليس بإذنه مشينا ولا بإذنه نرجع، إنما هو فضل وأجر طلبناه فبقدر ما يتبع الجنازة الرجل يؤجر على ذلك [۴۰] . أما معاشرته لإخوانه فقد كانت غاية فى الأدب، فمثلاً يحكى أبو عبيدة عن آداب عشرته فى السفر فيقول: كنت زميل أبى جعفر (ع) وكنت أبدأ بالركوب ثم يركب هو " فإذا استوينا سلّم وسأل مسألة رجل لا عهد له بصاحبه، وصافح، قال: وكان إذا أنزل نزل قبلى، فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلم وسأل مسألة من لا عهد له بصاحبه، فقلت يابن رسول الله إنك تفعل شيئاً ما يفعله من قبلنا، وإن فعل مرة لكثير، فقال: أما علمت ما فى المصافحة، إن المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فما تزال الذنوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر والله ينظر إليهما حتى يفترقان [۴۱] . وكان فى تعامله مع الناس برّاً عفيفاً، وكان يعفو عن السيئة أنى استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان لذلك أطيب الأثر فى نفوس الناس، فقد قال له نصرانى يوماً: أنت بقر قال: لا- أنا باقر قال: أنت ابن الطباخة (يريد تعييره بها) قال: تلك حرفتها، قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذية؟ قال: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك، فانبهر النصرانى بأخلاقه، ودعاه ذلك إلى الإسلام على يديه [۴۲] . وقد كان تعامله مع المستضعفين يتميز بالشفقة والرفق، وقد روى عن نجله الإمام الصادق (ع) أنه قال: إذا استكملتم ما ملكت أيمانكم فى شيء فيشق عليهم فاعملوا معهم فيه، قال: وإن كان أبى (الإمام الباقر عليه السلام) ليأمرهم فيقول كما أنتم، فيأتى فينظر، فإن كان ثقيلاً- قال باسم الله ثم عمل معهم، وإن كان خفيفاً تنحى عنهم [۴۳] . وربما كان عمله فى إصلاح حقله ومزرعته لهذه الجهة، حيث كان الأئمة (ع) يرون الكدح والكد أمراً محبوباً يقربهم إلى الله. فى ذلك يروى أبو عبد الله الصادق أن محمد بن المكدر كان يقول: ما كنت أرى أن مثل على بن الحسين يدع خلفاً لفضل على بن الحسين حتى رأيت ابنه محمد بن على، فأردت أن اعظه فوعظنى، فقال له أصحابه: بأى شيء يعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحى المدينة فى ساعة حارة فلقيت محمد بن على وكان رجلاً بديناً وهو متّكِ على غلامين له أسودين أو موليين، فقلت فى نفسى: شيخ من شيوخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحال فى طلب الدنيا، أشهد لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه، فسلَّم علىَّ ببهر وقد تصبب عرقاً، فقلت أصلحك الله يا شيخ من أشياخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحال فى طلب الدنيا، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟ قال: فخلى عن الغلامين من يده، ثم

تساند وقال: لو جاءنى والله الموت وأنا فى هذه الحال جاءنى وأنا فى طاعة من طاعات الله تعالى أكفّ بها نفسى عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءنى وأنا على معصية من معاصى الله، فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتنى [۴۴] . وكان يمكن الإمام أن يستخدم عبيده فى أمر إصلاح أرضه، إلّا أنه أحب أن يراه الله كاداً فى سبيل إعاشة عياله. ونختم حديثنا عن عِشرة الإمام بحديث يرويه الإمام الصادق (ع) يقول: أعتق أبو جعفر من غلمانه عند موته شرارهم وأمسك خيارهم. فقلت: يا أبته تعتق هؤلاء وتمسك هؤلاء؟ فقال: إنهم قد أصابوا منى حزناً فيكون هذا بهذا [۴۵] . هكذا ضرب الإمام أروع الأمثلة فى الخصال الحميدة والآداب الرفيعة، ولا ريب أن الرواة لم ينقلوا لنا إلّا نزراً يسيراً من جوانب حياته التى تفيض بالحكمة والرشاد.. فسلام الله عليه أبداً وصلاته عليه دائماً سرمداً.

الامام وعصره

من خلال مراجعة سريعة لعصر الإمام الباقر (ع) نعرف أن هدوءاً غاضباً كان يسوده قبل أن تهدر العاصفة الثائرة، التى أطاحت بالحكم الأموى بعد وفاة الإمام الباقر (ع)، وحملت إلى الساحة النظام العباسى فى عهد الإمام الصادق (ع). ومن خلال الشواهد التى نستوحيها من قصص حياته (ع) نتلمس ملامح ذلك العصر.. وكيف أن إرهاصات العاصفة كانت ظاهرة هنا وهناك. أولاً: الشاهد الأول ظاهرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الذى قاد ثورةً إصلاحية من قمة هرم فمع النجاح الجزئى الذى كسبه هذا الخليفة. إلّا أنه لم ينجح لسببين: الأول: لأنه جاء متأخراً جِداً إذ أن الفرق الإسلامية التى تبنت معارضة الحكم الأموى كانت راسخة الجذور فى الأمة.. ولم تكن تنخدع بهذه اللعبة السياسية. وفى طليعتها شيعة أهل البيت عليهم السلام، الذين كان وعيهم بالسياسة إلى درجة لم يكن بإمكان ابن عبد العزيز أو عبد الله المأمون أن يؤثرا فيهم، وذلك بفضل ثقافتهم القرآنية. وتوعية الائمة بحقائق الإسلام. ومن أبرزها أن الحكم ليس بالوراثة أو القوة، وانما هو بأمر الدين، فها هو الإمام الباقر (ع) يقول لأصحابه أن أهل السماء يلعنون عمر بن عبد العزيز – وذلك حتى قبل توليه السلطة – لنستمع إلى الحديث التالى: روى أبو بصير قال: كنت مع الباقر فى المسجد إذ دخل عمر بن عبد العزيز، وعليه ثوبان ممصران متكئاً على مولى له، فقال: لَيَلِيَنَّ هذا الغلام فيظهر العدل، ويعيش أربع سنين ثم يموت فيبكى عليه أهل الارض ويلعنه أهل السماء، قال: يجلس فى مجلس لا حق له فيه، ثم ملك وأظهر العدل جهده [۴۶] . هكذا يعتبره الإمام ملعوناً لأنه قد جلس فى مقام الخلافة الذى لا يحق له الجلوس فيه أبداً. صحيح أن ابن عبد العزيز أعاد فدكاً إلى البيت العلوى، وكانت فدك رمزاً لظلامة أهل البيت، وكان ردها دليلاً عند الناس على صدق مذهبهم. إلّا إن الأئمة لم يعبأوا بذلك ولم يعتبروه كافياً لحسن سلوك النظام، لأن النظام كان اساسه باطلاً، وكانت حركة الأئمة تستهدف إصلاح المجتمع من جذوره كما يفعل الأنبياء (ع). والحديث التالى يكشف عن طريقة تفكير طليعة الأمة فيما يتعلق بنظام عمر بن عبد العزيز، دعنا نستمع إليه. فقد روى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بخراسان أن أوفد إلىّ من علماء بلادك مائة رجل أسألهم عن سيرتك، فجمعهم عامله وقال لهم ذلك، فاعتذروا وقالوا إن لنا عيالاً وأشغالاً لا يمكننا مفارقته، وعدله لا يقتضى إجبارنا، ولكن قد أجمعنا على رجل منا يكون عوضنا عنده، ولساننا لديه، فقوله قولنا، ورأيه رأينا فأوفد به العامل إليه، فلما دخل عليه سلم وجلس، فقال له: أخل لى المجلس، فقال له: ولم ذلك؟ وأنت لا تخلو أن تقول حقاً فيصدقوك، أو تقول باطلاً فيكذبوك فقال له: ليس من أجلى اريد خلو المجلس، ولكن من أجلك، فإنى أخاف أن يدور بيننا كلام تكره سماعه. فأمر بإخراج أهل المجلس ثم قال له: قل! فقال: أخبرنى عن هذا الأمر من أين صار إليك؟ فسكت طويلاً فقال له: ألا تقول؟ فقال: لا فقال: ولم؟ فقال له: إن قلت بنص من الله ورسوله كنت كاذباً، وأن قلت بإجماع المسلمين، قلت فنحن أهل بلاد المشرق ولم نعلم بذلك، ولم نجمع عليه، وإن قلت بالميراث من آبائى، قلت بنو أبيك كثير فلِمَ تفردت به دونهم؟ فقال له: الحمد لله على اعترافك على نفسك بالحق لغيرك، أفأرجع إلى بلادى؟ فقال: لا فوالله إنك لواعظ قط فقل ما عندك بعد ذلك فقال له: رأيت أن من تقدمنى ظلم وغشم وجار واستأثر بفيء المسلمين، وعلمت من نفسى أنى لا استحل ذلك، وأن المؤمنين لا شيء يكون أنقص

وأخف عليهم فوليت، فقال له: أخبرنى لولم تل هذا الأمر ووليه غيرك، وفعل ما فعل من كان قبله، أكان يلزمك من إثمه شيء؟ فقال: لا، فقال له: فأراك قد شريت راحة غيرك بتعبك، وسلامته بخطرك فقال له: إنك لواعظ قط، فقام ليخرج ثم قال له: والله لقد هلك أولنا بأولكم وأوسطنا بأوسطكم، وسيهلك آخرنا بآخركم، والله المستعان عليكم، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وموقف الإمام من عمر بن عبد العزيز كان انتهاز الفرصة المؤاتية لتبليغ الرسالة ونصيحة الولاة، ويصحح ما يمكن تصحيحه من أوضاع الأمة دون الإعتراف بشرعية النظام بالجملة، وفيما يلى نقرأ حديثاً يصف دخول الإمام عليه ونصيحته له: " يروى هشام بن معاذ ويقول: كنت جليساً لعمر بن عبد العزيز حيث دخل المدينة، فأمر مناديه فنادى من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتى محمد بن على يعنى الباقر (ع) فدخل إليه مولاه مزاحم فقال: إن محمد بن على بالباب، فقال له: أدخله يا مزاحم، قال: فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع فقال له محمد بن على: ما أبكاك يا عمر؟ فقال هشام: أبكانى كذا وكذا يا ابن رسول الله، فقال محمد بن على (ع): يا عمر إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم، ومنها خرجوا بما يضرهم، وكم من قوم قد غرتهم بمثل الذى أصبحنا فيه، حتى أتاهم الموت فاستوعبوا، فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عدة، ولا مما كرهوا جنة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن والله محقوقون، إن ننظر إلى تلك الأعمال التى كنا نغبطهم بها، فنوافقهم فيها، وننظر إلى تلك الأعمال التى كنا نتخوف عليهم منها، فنكف عنها. فاتق الله واجعل فى قلبك اثنتين، تنظر الذى تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدِّمه بين يديك، وتنظر الذى تكرهه أن يكون معك إذا قدمت على ربك فابتغ به البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك، ترجو أن تجوز عنك، واتق الله يا عمر وافتح الأبواب وسهِّل الحجاب، وانصر المظلوم ورد المظالم. ثم قال: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله، فجثا عمر على ركبتيه وقال: إيه يا أهل النبوة فقال: نعم يا عمر من إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له، فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن على (ع) فدك. ثانياً: يبدو أن بنى أمية كانوا يتجنبون قتل أبناء على (ع) بصورة ظاهرة، للآثار السلبية التى خلفتها عليهم واقعة الطف، وكان الأئمة بدورهم لا يجدون الظروف مؤاتية للقيام بنهضة دموية. والقصة التالية التى يذكرها الرواة تشهد بذلك، فبعد أن نازع زيد بن الحسن الإمام الباقر فى ميراث رسول الله استنجد بالخليفة الأموى (عبد الملك بن مروان) ودخل عليه وقال له: أتيتك من عند ساحر كذاب لا يحل لك تركه. فكتب عبد الملك كتاباً إلى واليه على المدينة أن يبعث إليه محمد بن على مقيداً، وقال لزيد: أرأيتك إن وليتك قتله قتلته؟ قال: نعم. ولكن عامله على المدينة استدرك الأمر وكتب إلى الخليفة: إن الرجل الذى أردته لا يوجد اليوم على وجه الأرض أعف منه ولا أزهد ولا أورع منه، وإنه ليقرأ فى محرابه فيجتمع الطير والسباع تعجباً لصوته، وإن قراءته وكتبه مزامير داود، وإنه من أعلم الناس، وارق الناس، وأشد الناس اجتهاداً وعبادةً، وأضاف فى كتابه: وكرهت لأمير المؤمنين التعرض له، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. وهكذا تراجع عبد الملك مما بدر منه. وبعد أن اكتشف كذب زيد بن الحسن أخذه وقيَّده وهيَّأه، وقال له: لولا أنى أريد أن لا أبتلى بدم أحد منكم لقتلتك. ثم كتب إلى الإمام الباقر (ع) بعثت إليك بابن عمك فأحسن أدبه [۴۷] . من هذه القصة نعرف أن ملوك بنى أمية كانوا يتجنبون ما أمكنهم قتل أولاد على (ع) بصورة ظاهرة. ثالثاً: كانت المعارضة العلنية لحكم بنى أمية أصبحت معروفة، ويروى التاريخ بعض النماذج منها ونذكر فيما يلى اثنين منها: ۱- يحكى الديلمى قصة طريفة فى كتابه إعلام الدين يقول: قال رجل لعبد الملك بن مروان أُناظرك وأنا آمن، قال: نعم، فقال: أخبرنى عن هذا الأمر الذى صار إليك أبنص من الله ورسوله؟ قال: لا، قال: اجتمعت الأمة فترضّوا بك؟ قال: لا فقال: فكانت لك بيعة فى أعناقهم فرضوا بها؟ قال: لا، قال: فاختارك أهل الشورى؟ قال: لا، قال: أفليس قد قهرتهم على أمرهم، واستأثرت بغيثهم، دونهم؟ قال: بلى، قال: فبأى شيء سُميت أمير المؤمنين؟ ولم يؤمرك الله ورسوله ولا المسلمون، قال له أخرج عن بلادى وإلّا قتلتك، قال: ليس هذا جواب أهل العدل والإنصاف، ثم خرج عنه [۴۸] . ۲- وقصة أخرى ينقلها الشيخ الطوسى فى أماليه عن الشيخ المفيد عن الثمالى قال: حدثنى من حضر عبد الملك بن مروان وهو يخطب الناس بمكة،

فلما صار إلى موضع العظة من خطبته، قام إليه رجل فقال له: مهلاً مهلاً، إنكم تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولاتنتهون، وتعظون ولا تتعظون، أفاقتداء بسيرتكم أم طاعة لأمركم؟ فإن قلتم اقتداءً بسيرتنا فكيف يقتدى بسيرة الظالمين، وما الحجة فى اتباع المجرمين الذين اتخذوا مال الله دولاً، وجعلوا عباد الله خولاً، وإن قلتم أطيعوا أمرنا، واقبلوا نصحنا، فكيف ينصح غيره من لم ينصح نفسه؟ أم كيف تجب طاعة من لم تثبت له عدالة؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العظة ممن سمعتموها، فلعل فينا من هو أفصح بصنوف العظات وأعرف بوجوه اللغات منكم، فتزحزحوا عنها وأطلقوا أقفالها وخلّوا سبيلها، ينتدب لها الذين شردتهم فى البلاد، ونقلتموهم عن مستقرهم إلى كل واد، فوالله ما قلدناكم أزمة أمورنا، وحكمناكم فى أموالنا وابداننا وأديانناً، لتسيروا فينا بسيرة الجبارين، غير أنا بصراء بأنفسنا لاستيفاء المدة وبلوغ الغاية وتمام المحنة، ولكل قائم منكم يوم لا يعدوه، وكتاب لابدّ أن يتلوه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، قال: فقام إليه بعض أصحابه المسالح، فقبض عليه، وكان آخر عهدنا به، ولا ندرى ما كانت حاله [۴۹] . رابعاً: خروج الإمام إلى الشام. إن حادثة استدعاء هشام بن عبد الملك الإمام الباقر (ع) من المدينة إلى الشام، تكشف عن طبيعة علاقة الإمام بالسلطة السياسية، وما كان يعانيه منها، وكيف كان يتحداها، ونحن إذ نثبت نصّاً تاريخياً فيها ندع للقارئ فرصة التأمل فيها، على أن النصوص مختلفة فى تفاصيل هذه الواقعة وإنما نذكر أكثرها تفصيلاً بإذن الله. وقد حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حج فى تلك السنة محمد بن على الباقر وابنه جعفر بن محمد عليهما السلام. وقال الإمام الصادق (ع): الحمد لله الذى بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفاؤه، فالسعيد من اتبعنا والشقى من عادانا وخالفنا. ثم قال: فأخبر مسلمة أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبى وإشخاصى معه، فأشخصنا، فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً، ثم أذن لنا فى اليوم الرابع فدخلنا، وإذا قد قعد على سرير الملك، وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سماطان متسلحان، وقد نصب البرجاس حذاه وأشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا وأبى أمامى وأنا خلفه، فنادى أبى وقال: يا محمد إرم مع أشياخ قومك الغرض. فقال له: إنى قد كبرت عن الرمى فهل رأيت أن تعفينى. فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد (ص) لا أعفيك، ثم أومأ إلى شيخ من بنى أمية أن اعطه قوسك، فتناول أبى عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهماً، فوضعه فى كبد القوس، ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشق فواق سهمه إلى نصله ثم تابع الرمى حتى شق تسعة أسهم بعضها فى جوف بعض، وهشام يضطرب فى مجلسه فلم يتمالك إلاّ أن قال: أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمى العرب والعجم، هلّا زعمت أنك كبرت عن الرمى، ثم أدركته ندامة على ما قال. وكان هشام لم يكن كنّى أحداً قبل أبى ولا بعده فى خلافته، فهمَّ به وأطرق إلى الأرض إطراقة يتروى فيها. وأنا وأبى واقفان حذاه مواجهين له، فلما طال وقوفنا غضب أبى فهم به، وكان أبى (ع) إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب فى وجهه، فلما نظر هشام إلى ذلك من أبى. قال له: إلى يا محمد! فصعد أبى إلى السرير، وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام، قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه، ثم اعتنقنى وأقعدنى عن يمين أبى، ثم أقبل على أبى بوجهه. فقال له: يا محمد لاتزال العرب والعجم تسودها قريش مادام فيهم مثلك، لله درك، من علمك هذا الرمى؟ وفى كم تعلمته؟ فقال أبى: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتى ثم تركته، فلما اراد أمير المؤمنين منى ذلك عدت فيه. فقال له: ما رأيت مثل هذا الرَّمى قط مُذْ عقلت، وما ظننت أن فى الأرض أحداً يرمى مثل هذا الرمى أيرمى جعفر مثل رميك؟ فقال: إنا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيه (ص) فى قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً» (المائدة/۳) والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التى يقصر غيرنا عنها. قال: فلما سمع ذلك من أبى انقلبت عينه اليمنى فاحولت واحمر وجهه، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب، ثم أطرق هنيئة ثم رفع رأسه. فقال لأبى: ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟ فقال أبى: نحن كذلك ولكن الله جل ثناءه اختصنا من مكنون سره وخالص علمه بما لم يخص أحداً به غيرنا. فقال: أليس الله جل ثناؤه بعث محمداً (ص) من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة، أبيضها وأسودها وأحمرها من أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ ورسول الله (ص) مبعوث إلى الناس

كافة وذلك قول الله تبارك وتعالى: «وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» (آل عمران/۱۸۰) إلى آخر الآية فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبى ولا أنتم أنبياء؟ فقال: من قوله تبارك وتعالى لنبيّه (ص): «لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» (القيامة/۱۶) الذى لم يحرك به لسانه لغيرنا أمره الله أن يخصنا به من دون غيرنا، فلذلك كان ناجى أخاه علياً من دون أصحابه فأنزل الله بذلك قرآناً فى قوله: «وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» (الحاقة/۱۲) فقال رسول الله (ص) لأصحابه: سألت الله أن يجعلها أذنك يا على، فلذلك قال على بن أبى طالب صلوات الله عليه بالكوفة: علَّمنى رسول الله (ص) ألف باب من العلم ففتح لكل باب ألف باب، خصَّه رسول الله (ص) من مكنون سره بما يخص أمير المؤمنين أكرم الخلق عليه، فكما خص الله نبيه (ص) خص نبيه (ص) أخاه علياً من مكنون سره بما لم يخص به أحداً من قومه، حتى صار إلينا فتوارثنا من دون أهلنا. فقال هشام بن عبد الملك: إن علياً كان يدعى علم الغيب والله لم يطلع على غيبه أحداً، فمن أين ادعى ذلك؟ فقال أبى: إن الله جل ذكره أنزل على نبيّه (ص) كتاباً بيَّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة فى قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل/۸۹) وفى قوله: «مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ» (الانعام/۳۸) وأوحى الله إلى نبيه (ص) أن لايبقى فى غيبه وسره ومكنون علمه شيئاً إلاّ ينا جى به عليّاً، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده، ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه، وقال لأصحابه: حرام على أصحابى وأهلى أن ينظروا إلى عورتى غير أخى على، فإنه منى وأنا منه، له مالى وعليه ما علىَّ، وهو قاضى دينى ومنجز وعدى. ثم قال لأصحابه: على بن أبى طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلاّ عند على (ع)، ولذلك قال رسول الله (ص) لأصحابه: أقضاكم على أى هو قاضيكم وقال عمر بن الخطاب: لولا على لهلك عمر، يشهد له عمر ويجحده غيره. فأطرق هشام طويلاً ثم رفع رأسه فقال: سل حاجتك. فقال: خلفت عيالى وأهلى مستوحشين لخروجى. فقال: قد آنس الله وحشتهم برجوعوك إليهم ولا تقم، سر من يومك. فاعتنقه أبى ودعا له وفعلت أنا كفعل أبى، ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه، وإذا بميدان ببابه وفى آخر الميدان أناس قعود عددهم كثير، قال أبى: من هؤلاء؟ فقال الحجاب هؤلاء القسيسون والرهبان وهذا عالم لهم يقعد إليهم فى كل سنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم. فلف أبى عند ذلك رأسه بفاضل ردائه وفعلت أنا مثل فعل أبى، فأقبل نحوهم حتى قعد نحوهم وقعدت وراء أبى، ورفع ذلك الخبر إلى هشام، فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبى، فأقبل وأقبل عداد من المسلمين فأحاطوا بنا، وأقبل عالم النصارى وقد شد حاجبيه بحريرة صفراء حتى توسطنا، فقام إليه جميع القسيسين والرهبان مسلمين عليه، فجاؤوا به إلى صدر المجلس فقعد فيه، وأحاط به أصحابه وأبى وأنا بينهم، فأدار نظره ثم قال لأبى: أمنّا أم من هذه الأمة المرحومة؟ فقال ابى: بل من هذه الأمة المرحومة. فقال: من أيهم أنت من علمائها أم من جهالها؟ فقال له أبى: لست من جهالها، فاضطرب اضطراباً شديداً ثم قال له: أسألك؟ فقال له أبى: سل، فقال: من أين ادعيتم أن أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يُحدِثون ولا يبولون؟ وما الدليل فيما تدعونه من شاهد لا يجهل؟ فقال له أبى: دليل ما ندّعى من شاهد لا يجهل، الجنين فى بطن أمه يطعم ولا يحدث. قال: فاضطرب النصرانى اضطراباً شديداً، ثم قال: هلاّ زعمت أنك لست من علمائها؟ فقال له أبى: ولا من جهالها، وأصحاب هشام يسمعون ذلك. فقال لأبى: أسألك عن مسألة أخرى فقال له أبى: سل. فقال: من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة أبداً غضة طرية موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنة؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل؟ فقال له أبى: دليل ما ندَّعى أن ترابنا أبداً يكون غضاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع أهل الدنيا لا ينقطع، فاضطرب اضطراباً شديداً، ثم قال: هلاّ زعمت أنك لست من علمائها؟ فقال له أبى: ولا من جهالها. فقال له: أسألك عن مسألة؟ فقال: سل، فقال: أخبرنى عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار؟ فقال له أبى: هى الساعة التى بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يهدأ فيها المبتلى، ويرقد فيها الساهر، ويفيق المغمى عليه، جعلها الله فى الدنيا رغبة للراغبين وفى الآخرة للعاملين لها دليلاً واضحاً وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين التَّاركين لها. قال: فصاح النصرانى صيحة ثم قال: بقيت مسألة واحدة والله لأسألك عن مسألة لاتهدى إلى الجواب عنها أبداً. قال له أبى: سل فإنك حانث فى يمينك. فقال: أخبرنى عن مولودين ولدا فى يوم واحد وماتا فى يوم واحد عمر أحدهما خمسون سنة وعمر الآخر مائة وخمسون سنة فى دار

الدنيا؟ فقال له أبى: ذلك عزيز وعزيرة ولدا فى يوم واحد، فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً، مرّ عزيز على حماره راكباً على قرية بأنطاكية وهى خاوية على عروشها «قَالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا» (البقرة/۲۵۹) وقد كان اصطفاه وهداه فلما قال ذلك القول غضب الله عليه فأماته الله مائة عام سخطاً عليه بما قال، ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه وعاد إلى داره، وعزيرة أخوه لا يعرفه فاستضافه فأضافه وبعث إليه ولد عزيرة وولد ولده وقد شاخوا وعزير شاب فى سن خمس وعشرين سنة، فلم يزل يذكر أخاه وولده وقد شاخوا وهم يذكرون ما يذكرهم ويقولون: ما أعلمك بأمر قد مضت عيه السنون والشهور، ويقول له عزيرة وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة: ما رأيت شاباً فى سن خمسة وعشرين سنة أعلم بما كان بينى وبين أخى عزير أيام شبابى منك! فمن أهل السماء أنت؟ أم من أهل الأرض؟ فقال: يا عزيرة أنا عزير سخط الله علىّ بقول قلته بعد أن اصطفانى وهدانى فأماتنى مائة سنة ثم بعثنى لتزداد بذلك يقيناً، إن الله على كل شىء قدير، وها هو هذا حمارى وطعامى وشرابى الذى خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان، فعندها أيقنوا فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة، ثم قبضه الله وأخاه فى يوم واحد. فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقاموا - النصارى - على أرجلهم فقال لهم عالمهم: جئتمونى بأعلم منى واقعدتموه معكم حتى هتكنى وفضحنى وأعلم المسلمين بأن لهم من أحاط بعلومنا وعنده ما ليس عندنا، لا والله لا كلمتكم من رأسى كلمة واحدة، ولا قعدت لكم إن عشت سنة. فتفرقوا وأبى قاعد مكانه وأنا معه، ورفع ذلك الخبر إلى هشام. فلما تفرق الناس نهض أبى وانصرف إلى المنزل الذى كنا فيه، فوافانا رسول هشام بالجائزة وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس، لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبى وبين عالم النصارى، فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد من عند هشام إلى عامل مدين على طريقنا إلى المدينة أن ابنَى أبى تراب الساحرين: محمد بن على وجعفر بن محمد الكذابين - بل هو الكذاب لعنه الله - فيما يظهران من الإسلام وردّا علىّ، ولما صرفتهما إلى المدينة مالا- إلى القسيسين والرهبان من كفار النصارى وأظهرا لهما دينهما ومرقا من الإسلام إلى الكفر دين النصارى وتقربا إليهم بالنصرانية، فكرهت أن أنكل بهما لقرابتهما، فإذا قرأت كتابى هذا فناد فى الناس: برئت الذمة ممن يشاريهما أو يبايعهما أو يصافحهما أو يسلم عليهما فإنهما قد ارتدا عن الإسلام، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما شر قتلة، قال: فورد البريد إلى مدينة مدين. فلما شارفنا مدينة مدين قدم أبى غلمانه ليرتادوا لنا منزلاً، ويشروا لدوابنا علفاً، ولنا طعاماً، فلما قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب فى وجوهنا وشتمونا وذكروا على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقالوا: لا نزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع يا كفار يا مشركين يا مرتدين يا كذابين يا شر الخلائق أجمعين، فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا إليهم فكلمهم أبى وليّن لهم القول وقال لهم: اتقوا الله ولا- تغلظوا فلسنا كما بلغكم ولا- نحن كما تقولون فاسمعونا، فقال لهم: فهبنا كما تقولون افتحوا لنا الباب وشارونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس، فقالوا: أنتم شر من اليهود والنصارى والمجوس لأن هؤلاء يؤدون الجزية وأنتم ما تؤدون، فقال لهم أبى: فافتحوا لنا الباب وأنزلونا وخذوا منا الجزية كما تأخذون منهم، فقالوا: لا نفتح ولا كرامة لكم حتى تموتوا على ظهور دوابكم جياعاً نياعاً او تموت دوابكم تحتكم، فوعظهم أبى فازدادوا عتواً ونشوزاً، قال: فثنى أبى رجله عن سرجه ثم قال لى: مكانك يا جعفر لا- تبرح، ثم صعد الجبل المطل على مدينة مدين وأهل مدين ينظرون إليه ما يصنع، فلما صار فى أعلاه استقبل بوجهه المدينة وجسده، ثم وضع إصبعيه فى أذنيه ثم نادى بأعلى صوته «وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا- تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُم بِخَيْرٍ وإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلا- تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» (هود/۸۴-۸۶) نحن والله بقية الله فى أرضه، فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة فهبت واحتملت صوت أبى فطرحته فى أسماع الرجال والصبيان والنساء، فما بقى أحد من الرجال والنساء والصبيان إلّا صعد السطوح، وأبى مشرف عليهم، وصعد فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السن، فنظر إلى أبى على الجبل، فنادى باعلى صوته: اتقوا الله يا أهل مدين فإنه قد وقف الذى وقف فيه شعيب (ع) حين دعا على قومه، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب. فإنى أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا، وكُتب

بجميع ذلك إلى هشام فارتحلنا فى اليوم الثانى، فكتب هشام إلى عامل مدين يأمره بأن يأخذ الشيخ فيقتله رحمة الله عليه وصلواته، وكتب إلى عامل مدينة الرسول أن يحتال فى سم أبى فى طعام أو شراب، فمضى هشام ولم يتهيأ له فى أبى من ذلك شىء [۵۰] .

وفاته

بعد ثمانية عشر عاماً تصدى خلالها للإمامة الإسلامية، استجاب لنداء ربه الحق، فلبّاه راضياً مرضياً، وقد قضى من عمره المبارك سبعاً وخمسين ربيعاً. فى غرة رجب من عام ۱۱۴ للهجرة كان أهل بيته يحفّون به وكان السم الذى دس غليه من خلال سرج امتطاه قد انتشر فى جسده فالتفت إلى نجله ووصيه الإمام الصادق (ع) وقال: سمعت على بن الحسين نادانى من وراء الجدران يا محمد تعال عجل، وقال: يا بنى هذا الليلة التى وعدتها وقد كان وضوءه قريباً، قال: أريقوه أريقوه فظن بعضهم أنه يقول: من الخمس فقال يا بنى أرقه فأرقناه فإذا فيه فأرة. وأوصى ابنه الإمام جعفر بن محمد بأن يكفّنه فى ثلاثة أثواب، أحدها رداء له جدة كان يصلى فيه يوم الجمعة، وثوب آخر وقميص، وأوصى أن يشق له القبر شقاً، واضاف فإن قيل لكم أن رسول الله لحد له فقد صدقوا. وأوصى أن يرفع أربع أصابع، وأن يرش بالماء، وأن يوقف من أمواله قدراً لكى تندبه النوادب بمنى عشر سنين أيام المنى. ولما توفى ضجت المدينة المنورة. ويروى عن الإمام الصادق (ع): أن رجلاً كان على بعد أميال من المدينة فرأى فى منامه أنه قيل له: انطلق فصل على أبى جعفر: فإن الملائكة تغسله، فجاء الرجل فوجد أبا جعفر قد توفى. وبعد تجهيزه دفن فى البقيع عند قبر والده الإمام زين العابدين وعم أبيه الإمام الحسن المجتبى [۵۱] . فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات مسموماً ويوم يبعث حيّاً. كلماته المضيئة: لقد فاضت بكلماته المضيئة كتب المعارف، أولم يكن باقر العلم فى أهل بيت الرسالة؟ ولكننا نقتبس منها قبسات لعل الله ينور بها قلوبنا ويبصرنا حقائق أنفسنا ويهدينا إلى الصراط القويم. تعال نستمع معاً إلى وصيته الرشيدة التى ألقاها إلى جابر بن يزيد الجعفى: " أوصيك بخمس: إن ظُلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كذبت فلا تغضب، وإن مدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع، وفكر فيما قيل فيك فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جل وعز عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير أن تتعب بدنك، واعلم أنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا أنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا أنك رجل صالح لم يسرك ذلك، ولكن أعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً فى تزهيده، راغباً فى ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر فإنه لايضرك ما قيل فيك، وإن كنت مبايناً للقرآن فما الذى يغرك من نفسك، إن المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها فى محبة الله، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها، فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف وذلك بأن الله يقول: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ» (الاعراف/۲۰۱)، يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلّصاً إلى الشكر واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله ازراء على النفس وتعرّضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرز فى خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف وتَوقّ مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص إلى راحة النفس بصحة التفويض، وتعرض لرقة القب بكثرة الذكر فى الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، وتحرز من إبليس بالخوف الصادق، وإياك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك فى الخوف الصادق، وإياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب، وإياك والتوانى فيما لا عذر لك فيه فإليه يلجأ النادمون، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم وكثرة الاستغفار، وتعرض للرحمة وعفو الله بخالص الدعاء والمناجاة فى الظلم، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر واطلب بقاء العز بإماتة الطمع، وارفع ذلك الطمع بعز اليأس، واستجلب عز اليأس ببعد الهمة،

وتزود من الدنيا بقصر الأمل وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، وإياك والثقة بغير المأمون، واعلم أنه لا علم كطلب السلامة، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا عدل كالإنصاف، ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا معصية كاستهانتك بالذنب، ورضاك بالحالة التى أنت عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوة كرد الغضب، ولا ذل كذل الطمع، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة، فإنه ميدان يجرى لأهله بالخسران. وقال (ع): خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها، فإن الله يقول: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله» (الزمر/۱۸)، ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فانياً ويعطيك باقياً، درهم يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمائة ضعف مضاعفة، إنما أنت لص من لصوص الذنوب كلما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه فارتكبته كأنّك لست بعين الله أو كأن الله ليس لك بالمرصاد، يا طالب الجنة ما أطول نومك وأكل مطيتك وأوهى همتك فللّه أنت من طالب ومطلوب، ويا هارباً من النار ما أحث مطيتك إليها، وما أكسبك لما يوقعك فيها [۵۲] .

پاورقی

[۱] المصدر: (ص ۳۳۲).

[۲] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۱۵).

[۳] المصدر: (ص ۲۱۷).

[۴] المصدر: (ص ۲۲۷).

[۵] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۳۳۲).

[۶] بحار الأنوار: (ج ۲۶، ص ۲۸).

[۷] المصدر: (ص ۲۸).

[۸] المصدر: (ص ۳۷).

[۹] المصدر: (ص ۳۷). [

[۱۰] المصدر: (ص ۱۸).

[۱۱] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۲۹).

[۱۲] بحار الأنوار: (ج ۲۶، ص ۲۹).

[۱۳] المصدر: (ص ۳۱) والأواخى جمع أوخية وهى ما يشد به الدابة أى ما يحفظ به العلم.

[۱۴] المصدر: (ص ۶۰).

[۱۵] فى رحاب أئمة أهل البيت فى سيرة الباقر: (ص ۷).

[۱۶] المصدر: (ص ۶).

[۱۷] المصدر.

[۱۸] المصدر.

[۱۹] المصدر.

[۲۰] المصدر: (ص ۹).

[۲۱] المصدر: (ص ۱۰ / ۱۱).

[۲۲] المصدر: (ص ۴۰).

[۲۳] المصدر.

[۲۴] المصدر: (ص ۱۷).

[۲۵] المصدر: (۱۳ – ۱۶).

[۲۶] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۴۴).

[۲۷] المصدر: (ص ۲۴۶).

[۲۸] المصدر: (ص ۲۴۷).

[۲۹] المصدر: (ص ۲۴۹).

[۳۰] فی رحاب أئمة أهل البیت سیرة الباقر: (ص ۶).

[۳۱] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۸۹) نقلاً عن حلیة الأولیاء: (ج ۳ ص ۱۸۰).

[۳۲] الظاهر خفضت والله العالم.

[۳۳] المصدر: (ص ۲۹۰).

[۳۴] المصدر: (ص ۲۹۷).

[۳۵] المصدر: (ص ۳۰۱).

[۳۶] المصدر: (ص ۳۰۳).

[۳۷] المصدر: (ص ۳۰۳).

[۳۸] المصدر: (ص ۳۰۴).

[۳۹] المصدر: (ص ۳۰۱).

[۴۰] المصدر: (ص ۳۰۱).

[۴۱] المصدر: (ص ۳۰۲).

[۴۲] المصدر: (ص ۲۸۹).

[۴۳] المصدر: (ص ۳۰۳).

[۴۴] المصدر: (ص ۲۸۷).

[۴۵] المصدر: (ص ۳۰۰).

[۴۶] المصدر: (ص ۲۵۱).

[۴۷] المصدر باختصار: (ص ۳۲۹ – ۳۳۱).

[۴۸] المصدر: (ص ۳۳۵).

[۴۹] المصدر: (ص ۳۳۷).

[۵۰] موسوعة بحار الأنوار: (ص ۳۰۶ – ۳۱۳) نقلاً عن دلائل الإمامة تصنیف محمد بن جریر الطبری الإمامی.

[۵۱] هناک بعض الإختلافات فی تفاصیل وفاته وسنی عمره وما نقلناه استعرناه من جملة روایات تجدها فی بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۱۱۲ – ۲۲۰).

[۵۲] فی رحاب أهل البیت سیرة الامام الباقر (ع): (ص ۲۱ – ۲۲).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/ "بنایة "القائمیّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹